رِسَالَةٌ إِلَى

الدَّعِيِّ الأَجْوفِ المُخْتَالِ زُورًا

إِنَّنَا نَسْأَلُ الدَّعِيَّ الأَجْوفَ المُخْتَالَ زُورًا:

لِمَ انْتِقَاصُ مَنْ خَالَفَكَ؟ وَلِمَ هَذِهِ النُّعْرَةُ الَّتِي لاَ تَقُومُ عَلَى شَيْءٍ؟ وَلِمَ السُّكْرُ بِخَمْرَةِ الغُرُورِ؟

لِمَ تُصَعِّرُ خَدّا، وَتَتِيهُ عُجْبا، وَتَرُومُ بُعْدا، وَتُجَاوِزُ حَدّا!

فَيَا لَلْكِبْرِ!!!!!!!!!!

تَعِيبُ، وَتَغْتَابُ، وَتُنَكِّلُ بِمَنْ يُخَالِفُكَ، كُلُّ هَذَا لِكَسْبِ أَكْبَرِ عَدَدٍ مُمْكِنٍ مِنَ الأَتْبَاعِ مِنَ الهَمَجِ الرِّعَاعِ مِنْ جَهَلَةِ شَبَابِ المُسْلِمِينَ السَّطْحِيينَ المَسَاكِينَ:

فَلِمَ كُلُّ هَذَا؟!!!!

لِمَاذَا لَا تُعِرُ إِخْوَانَكَ أُذُنًا وَاعِيَة، وَنَفْسًا مُرَاعِيَة، وَقَدْ فَرَشُوا لِمَوَدَّتِكَ خِوَانَ صُدُورِهِمْ وَمَجَامِعَ أَعْمَارِهِمْ، وَقَدْ رَكِبْتَ مِنَ

التَّعَالِي شَرَّ مَرْكَب، وَذَهَبْتَ فِي التَّغَالِي أَسْوَأَ مَذْهَب، فَجَهِلْتَ قَدْرَ الفَضْل، وَجَحَدْتَ فَضْلَ العِلْم، وَامْتَطَيْتَ ظَهْرَ العُجْبِ وَالكِبْر، فَأَصْبَحَ الكَبِدُ بِسَبَبِ جَفَائِكَ وَمُصَارَمَتِكَ مَقْرُوح، وَالرُّوحُ مَجْرُوح؛ لِمُخَاطَبَتِكَ لإِخْوَانِكَ المُجْحِفَة، وَطَرِيقَتِكَ الظَّالِمَةِ المُتَحَيِّفَةِ.

لِمَ تُصْدِرُ أَحْكَامًا عَلَى مُخَالِفِيكَ بَلْ وَمَنْ لَمْ يَمْدَحْكَ وَالَّتِي تَصَلُ إِلَى حَدِّ الهِجَاءِ نَتِيجَةَ طَيْشِكَ وَغَضَبِكَ الأَهْوَجِ وَكِبْرِكَ المَقِيتِ؛ أَحْكَامٌ مُخْتَلَّةٌ وَجَائِرَةٌ وَغَيْرُ مَقْبُولَةٍ عَلَى الإِطْلاَقِ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الأَحْوَال!!!

لِمَ تَسْخَرُ وَتَسْتَسْخِرُ وَتَسَخَّرُ مِنْ مُخَالِفِيكَ؟!!!

لِمَ تُزْرِي بِإِخْوَانِكَ، وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِكَ نُظَرَاؤُكَ وَخِلاَّنُكَ، فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ لَنَا أَنْ نَقُولَ قَوْلَ القَائِلِ:

لَا أَزُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ المُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ

وَنُذَكِّرُ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيَّنَ الْمُهْلِكَاتِ؛ فَذَكَرَ مِنْهَا: "**إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ**".(١)

فَمَا الفَائِدَةُ -يا أَيُّهَا الْمُخْتَالُ زُورًا- حَتَّىٰ لَوْ امْتَلَكْتَ -وَلَسْتَ كَذَلِكَ- نَاصِيَةَ البَيَانِ وَزِمَامَ الفَصَاحَةِ وَطَلاَقَةَ اللِّسَانِ وَقُوَّةَ الفَيْهَقَةِ وَعُلُوَّ الطَّنْطَنَةِ؛ **وَسُلِبَ مِنْكَ نِعْمَةُ التَّوْفِيقِ والسَّدَادِ؟!!**

❁❁❁❁

فَإِنْ غَضِبَ هَذَا الدَّعِيُّ الأَجُوفُ الْمُخْتَالُ زُورًا مِنْ خِطَابِنَا هَذَا؛ فَلْيَتَذَكَّرْ جَفَاءَهُ وَمَا كَالَهُ وَيُكِيلُهُ لإِخْوَانِهِ وَعُلَمَائِهِ، وَمَا بَارَزَهُمْ بِهِ مِنْ سُوءِ الكَلاَمِ، "**وَالدَّمُ فِي النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَب**"، فَأَخْرَجَ فِئَامًا مِنَ العُلَمَاءِ مِنْ دَائِرَةِ العِلْمِ، وَدُعَاةٍ مِنْ دَائِرَةِ الدَّعْوَةِ؛ لاَ لِشَيْءٍ إِلاَّ لأَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا بِقَوْلِهِ، بَلْ -وَيَا لَلْعَجَبِ!- لِمُجَرَّدِ أَنَّهُمْ سَكَتُوا فَلَمْ يَمْدَحُوهُ عَلَى نَتَائِجِهِ "الفَذَّةِ"، وَبِأَنَّهُ "أَتَىٰ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ الأَوَائِلُ"!!!

---

(١) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ (٦/ ٤٧) وَغَيْرُهُ، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي الصَّحِيحَةِ (١٨٠٢).

فَقَدْ نَضَا حُسَامَهُ القَاطِعَ مِنْ غِمْدِهِ، وَشَحَذَ كَهَامَه(١)، وَنَثَلَ كَنَانَتَه(٢)، وَشَهَرَ قَلَمَه، وَشَحَذَ لِسَانَه، وَأَسْهَبَ وَتَوَسَّع -وَيَا لَلأَسَفِ- ضِدَّ إِخْوَانِه(٣)!!!

فَأَخَذَ يَطْوِي فِجَاجَ بَيْدَاءِ المُصَارَمَةِ، وَيَقْتَحِمُ صَحَرَاءَ المُخَاصَمَةِ، فَيَضْرِبُ بِلِسَانِهِ يُمْنَةً وَيُسْرَةً فِي عُلَمَائِنَا وَدُعَاتِنَا، وَتَارَةً يُزَوِّرُ الكَلاَمَ لِلْعَوامِ وَيُنَمِّقُ لَهُمُ الحَدِيثَ، (وَالرَّجُلُ قَدْ أُوتِيَ جَدَلاً) يُوفِضُ إِلَى غَايَتِهِ فِي حَمَاسَةٍ وَجُرْأَةٍ وَإِصْرَارٍ (لَيْتَهُ كَانَ فِي صَوَابٍ)؛ غَيْرَ مُبَالٍ: كَيْفَ يَصِلُ إِلَيْهَا؟!!

❁❁❁❁

إِنَّنَا نُؤْمِنُ بِالحِوَارِ الهَادِئِ البَنَّاءِ المُثْمِرِ الدَّائِرِ بَيْنَ قَوْلٍ وَقَوْلٍ وَحُجَّةٍ وَحُجَّةٍ، وَالمُجَادَلَةِ الهَادِفَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن بِالقَوْلِ اللَّيِّنِ وَالكَلِمَاتِ الوَادِعَةِ السَّلِسَةِ مَعَ طُولِ الأَنَاةِ وَمُطَاوَلَةِ حِبَالِ الصَّبْرِ وَالتَّأَنِّي.

---

(١) الكَهَام؛ بِفَتْحِ الكَافِ: السَّيْفُ الكَلِيلُ.

(٢) أَيْ: اسْتَخْرَجَ النِّبَالَ مِنْ جِرَابِهَا.

(٣) فَيَالَيْتَهَا كَانَتْ ضِدَّ قَوْمٍ آخَرِينَ!!

وَلِمَ يُرِيدُ أَنْ يَتَحَمَّلَ النَّاسُ إِفْرَاطَ هَذَا الدَّعِيِّ الأَجُوفِ الْمُخْتَال زُورًا وَمَا يُبْدِيهِ مِن تَهَجُّمٍ وَتَجَنٍّ؛ بِنَفْسٍ جَرِيحَةٍ وَكَبِدٍ مَقْرُوحَةٍ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ (الشُّورَى).

❁❁❁❁❁

وَلِمَ يُعَانِي إِخْوَانُهُ مِن ذَرِبِ لِسَانِهِ(١)؛ حَتَّى نَخْشَى عَلَيْهِ لاَ عَلَي أَنْفُسِنَا، فَأَحَقُّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُمْنَعَ مِنَ الاِنْبِعَاثِ في البَاطِلِ: اللِّسَانُ؛ لأَنَّ زَلَّتَهُ مُهْلِكَةٌ، وَمِنْ حَقِّ مَا يُهْلِكُ إِرْسَالُهُ: أَنْ يُزَمَّ. أَيْ: يُشَدُّ عَلَيْهِ مِنَ التَّفَلُّتِ.

---

(١) ذَرَبُ اللِّسَانِ: حِدَّتُهُ، وَقِيلَ: سُرْعَتُهُ وَفَسَادُ مَنْطِقِهِ، يُقَالُ: فُلاَنٌ ذَرِبُ اللِّسَانِ؛ مَعْنَاهُ فَاسِدُ اللِّسَانِ، وَهُوَ عَيْبٌ وَذَمٌّ، فَيُقَالُ: قَدْ ذَرِبَ لِسَانُ الرَّجُلِ يَذْرَبُ إِذَا فَسَد.

فَلاَبُدَّ مِنِ اسْتِنْزَالِهُ مِن عُتُوِّهِ وَعُلُوِّهِ الْمُتَوَهَّمِ إِلَى مَائِدَةِ الْمُفَاوَضَةِ وَالْمُقَاوَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَإِنْ لَمْ يُجْدِ ذَلِكَ مَعَهُ نَفْعًا، وَزَادَ فِي مُكَابَرَتِهِ وَصُدُودِهِ وَصَلَفِهِ. ... فَإِنْظَارُهُ لَعَلَّهُ يَرْجِعُ، وَبِالتَّوَاصِي بِالحَقِّ يَقْنَعُ، أَوْ يَتَذَكَّرُ فَيَرْعَوِي...

فَإِنْ أَرَادُ أَنْ يُعِيدَهَا جَذَعَةً؛ وَأَنْ يَفِيضَ الكَأْسُ وَيَطْفَحَ الكَيْلُ وَيَبْلُغَ السَّيْلُ الزَّبَى وَيُجَاوِزَ القِيْعَانَ وَالرُّبَا، ... فَـ"آخِرُ الدَّوَاءِ الكَيُّ"(١)، فَلاَبُدَّ -حِينَئِذٍ- مَنَ الرَّدِّ عَلَيْهِ وَتَبْيِينَ مَا عَلَيْهِ مِنْ خَطَلٍ حَتَّى لاَ يَظُنَّ أَنَّا عَيِينَا عَنْ الجَوَابِ، وَلِيَكُونَ قُوَّةً لِلْمُسْتَرْشِدِ وَبَيَانًا لِلْمُتَحَيِّرِ وَبَصِيرَةً لِلْمُهْتَدِي وَمَقْتَلاً لِلْخَرَّاصِينَ وَنُصْحًا لإِخْوَانِنَا البَاحِثِينَ عَنِ الحَقِّ.

❁❁❁❁❁

وَعَسَى أَنْ يَنْكَبَ عَنْ هَذِهِ السَّبِيلِ، وَأَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ هَذَا المَذْهَبِ الوَبِيلِ؛ بَعْدَ أَنْ سَلَكَ مَسْلَكًا مُجْهَلًا وَذَهَبَ مَذْهَبًا مُسْتَوْبِلًا دَلاَّهُ

---

(١) رَاجِعْ: مَجَلَّة "الوَعْي الإِسْلاَمِيّ" العَدَد (٣٤٨) يَنَايِر ١٩٩٥، مَقَالَة "الجِدَال قَبْلَ القِتَال" د. مُحَمَّد مُحَمَّد الشَّرْقَاوِيّ (ص ٨٥، ٨٦)

فِي مَهَاوِي الغُرُور، وَيُمَنِّيهِ بِأَمَانِي زُور، يَحْدُوهُ إِلَىٰ رُكُوبِهَا وَيَسْقِيهِ بِذَنُوبِهَا؛ رِعَاعٌ مِنَ الصِّبْيَانِ أَكْبَرُوهُ، وَفَوْقَ العُلَمَاءِ رَفَعُوهُ، وَغَرَّهُ رَحْمَةُ إِخْوَانِهِ بِهِ، وَسُكُوتُهُمْ عَنْه، وَعَدَمُ انْتِبَاهِهِمْ لِلْتَهَبِ جَمْرِه، وَخَطِيرِ أَمْرِه. فَأَرَدْنَا أَنْ نُرِيَهُ وَبَالَ غَوَائِلِهِ وَبَغْيِه؛ حَيْثُ يُلْقِيهُ غُرُورُهُ إِلَىٰ مَا يُشْمِتُ بِهِ أَعَادِيه.

إِنَّ قِيَامَ هَذَا الدَّعِيِّ الأَجُوفُ المُخْتَالُ زُورًا بِسَلِّ قَلَمِهِ وَإِشْهَارِ لِسَانِهِ عَلَىٰ مَنْ هُمْ أَفْضَلُ وَأَعْلَىٰ مِنْهُ عِلْمًا وَفَضْلًا وَمَكَانَةً؛ كَشْفٌ لِحَقِيقَةِ أَمْرِهِ وَسُوءِ مَذْهَبِهِ وَفَسَادِ طَوِيَّتِهِ، وَإِقْرَارٌ مِنْهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِمَا يُكِنُّهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ كِبْرٍ وَعُجْبٍ.

وَهَذِهِ تَبْصِرَةٌ وَتَذْكِرَةٌ، وَلَيْسَ بَعْدَهَا حُجَّةٌ وَلاَ مَعْذِرَةٌ، فَضَلَّ عَنِ الإِنْصَافِ وَالرَّشَادِ وَالأَدَبِ وَرَأَىٰ سَيِّءَ أَمْرِهِ حَسَنا، وَثَنَىٰ لَهُ هَوَاهُ إِلَىٰ مَهَالِكِهِ عِنَانًا وَرَسَنَا (أَيْ: جَبَل)، فَلْيَحْذَرْ مِنْ دَوَاعِي الفِتَن، وَعَوَاقِبِ الإِحَن، وَعَمَىٰ البَصَائِر، وَوَخِيمِ المَصَائِر.

"فَقِلَّةُ مُخَالَطَةِ الأَكْفَاءِ مِنْ أَقْوَىٰ أَسْبَابِ الشُّعُورِ بِالأَفْضَلِيَّةِ وَالاسْتِعْلاَءِ بِالزَّهْوِ وَالشُّمُوخِ وَالعُجْبِ وَالخُيَلاَءِ وَالكِبْرِ"(١).

❁❁❁❁

إِنَّنَا نَأْمَلُ اسْتِئْصَالَ شَأْفَةِ كِبْرِهِ مِنْ نَفْسِهِ وَتَطَاوُلِهِ عَلَى إِخْوَانِهِ بَعْدَ وُقُوعِهِ فِي شِرَاكِ الغُرُورِ وَالكِبْرِ وَالعُجْبِ لالْتِفَاتِهِ لِكَثْرَةِ مَدِيحِ المُتَقَرِّبِينَ وَإِطْرَاءِ المُتَمَلِّقِينَ وَالْتِفَافِ الغَوْغَاءِ الغُمْرِ الجَهَلَةِ؛ ... فَيَشْعُرُ -حِينَئِذٍ- بِأَنَّهُ عَدِيمُ النَّظِيرِ وَأَوْحَدُ العَصْرِ وَفَرِيدُ الدَّهْرِ فِي فَنِّهِ، وَيَغْلُبُ عَلَيْهِ حُبُّ الثَّنَاءِ وَيَسْتَفِزُّهُ الفَرَحُ بِمَا يُمْدَحُ بِهِ مِمَّنْ حَوْلَهُ مِن البُسَطَاءِ فِي العِلْمِ.

فَيَضُمُّ فِي أَعْطَافِهِ وَثَنَايَاهُ غُرُورًا يَصْعُبُ عَلَيْهِ التَّخَلُّصُ مِنْهُ - إِلاَّ أَنْ يَرْحَمَهُ اللهُ.

فَانْظُرْ إِلَى نَبْرَةِ شُعُورِهِ بِالاسْتِعْلاَءِ الذَّاتِيِّ عَلَى أَقْرَانِهِ وَنُظَرَائِهِ مِنَ "المُتَخَصِّصِينَ" الَّذِينَ يَشْعُرُ بِجَهْلِهِمْ فِيمَا عَلِمَهُ هُوَ وَجَهِلُوهُ

---

(١) انْظُرْ: "أَدَب الدُّنْيَا وَالدِّين" لِلْمَاوَرْدِيِّ (ص٣٢٩) تَحْقِيق/ مُحَمَّد صَبَاح، بَيْرُوت، مَكْتَبَة الحَيَاة، ١٩٨٦م.

فِي هَذِهِ القَضِيَّةِ أَوْ تِلْكَ؛ وَقَدْ كَانَ مِثْلَهُمْ إِلَى وَقْتٍ قَبْلَ بَحْثِهِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ أَوْ تِلْكَ، وَانْظُرْ إِلَى صَلَفِهِ وَغُرُورِهِ، وَمَجِّهِ أَيَّ مُحَاوَلَةٍ لإِظْهَارِ نَقْصِ بَحْثِهِ وَحَاجَتِهِ إِلَى مَزِيدِ اجْتِهَادٍ، وَشُعُورِهِ بِأَنَّهُ أَنْهَى هَذَا المَوْضُوعَ وَأَغْلَقَ بَابَهُ؛ فَهَذَا مِنَ **"التَّشَبُّعِ بِمَا لَمْ يُعْطَ"!!!**

وَنُذَكِّرُهُ بِقَوْلِ **عَبْدِ اللهِ ابْنِ المُبَارَكِ**: **"مَنِ اسْتَخَفَّ بِالعُلَمَاءِ ذَهَبَتْ آخِرَتُهُ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالأُمَرَاءِ ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالإِخْوَانِ ذَهَبَتْ مُرُوءَتُهُ"**.

وَمَهْمَا تَكُنْ عَنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ

❁❁❁❁❁

وَنَخْشَى عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:(١) **"لَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ."**

وَفِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:(٢) **"هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ"**.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

وَالْمُتَنَطِّعُ: أَيْ: الْمُتَعَمِّقُ الْمُغَالِي الْمُجَاوِزُ الْحُدُودَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ:(١) "لاَ يَتَعَمَّقُ أَحَدٌ فِي الأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ، وَيَتْرُكُ الرِّفْقَ إِلاَّ عَجَزَ وَانْقَطَعَ؛ فَيُغْلَب".

فَقَدْ أَفْرَطَ الدَّعِيُّ الْمُخْتَالُ زُورًا فِي رَأْيِهِ وَأَسْرَفَ وَشَطَّ وَتَعَدَّىٰ وَظَلَمَ وَتَجَاوَزَ الحَدَّ، وَفِي رُدُودِهِ عَلَي خُصُومِهِ، بَلْ وَفِي جَرْحِهِمْ؛ خِلاَفَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنَ العَدْلِ وَالإِنْصَافِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ (النِّسَاء).

---

(١) في "فَتْح البَارِي" (١/ ٩٤).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ (المَائِدَة).

قَالَ **الطَّبَرِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ:(١) "يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، لِيَكُنْ مِنْ أَخْلاَقِكُمْ وَصِفَاتِكُمْ؛ القِيَامُ للهِ، شُهَدَاءُ بِالعَدْلِ فِي أَوْلِيَائِكُمْ وَأَعْدَائِكُمْ، وَلاَ تَجُورُوا فِي أَحْكَامِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، فَتُجَاوِزُوا مَا حَدَّدتُ لَكُمْ فِي أَعْدَائِكُمْ لِعَدَاوَتِهِمْ لَكُمْ ...".

وَقَالَ **ابْنُ كَثِيرٍ** رَحِمَهُ اللهُ:(٢) "أَيْ: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالحَقِّ للهِ عَزَّوَجَلَّ، لَا لأَجْلِ النَّاسِ وَالسُّمْعَةِ، وَكُونُوا ﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أَيْ: بِالعَدْلِ لاَ بِالجَوْرِ. ... وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ

---

(١) فِي تَفْسِيرِهِ (٦/ ١٤١).

(٢) فِي تَفْسِيرِهِ.

عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ أَيْ: لاَ يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضُ قَوْمٍ عَلَىٰ تَرْكِ العَدْلِ فِيهِمْ، بَلِ اسْتَعْمِلُوا العَدْلَ فِي كُلِّ أَحَدٍ؛ صَدِيقًا كَانَ أَوْ عَدُوًّا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أَيْ: عَدْلُكُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ تَرْكِهِ. ...

وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ مِنْ بَابِ اسْتِعْمَالِ أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ فِي المَحِلِّ الَّذِي لَيْسَ فِي الجَانِبِ الآخَرِ مِنْهُ شَيْءٌ، ...

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَىٰ مَا عَلِمَ مِنْ أَفْعَالِكُمُ الَّتِي عَمِلْتُمُوهَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ".

❁❁❁❁❁

فَالعَدْلُ وَالإِنْصَافُ هُوَ مَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ **ابْنُ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ:(١) **"أَهْلُ السُّنَّةِ أَعْدَلُ مَعَ المُبْتَدِعَةِ مِنَ المُبْتَدِعَةِ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ".**

---

(١) في "مَجْمُوع الفَتَاوَى".

فَمَا بَالُكَ بِإِخْوَانِكَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ؟!!!

وَيَقُولُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:(١) "وَأَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ: العِلْمُ وَالعَدْلُ، وَأَصْلُ كُلِّ شَرٍّ: الجَهْلُ وَالظُّلْمُ".

وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:(٢) "فَمَا ارْتَفَعَ أَحَدٌ إِلاَّ بِالعَدْلِ وَالوَفَاءِ، وَلاَ سَقَطَ أَحَدٌ إِلاَّ بِالظُّلْمِ وَالجَوْرِ وَالغَدْرِ".

❁❁❁❁

فَإِذَا قَابَلْنَا تَطَاوُلَهُ وَتَحَامُلَهُ بِالتَّطَوُّلِ وَالتَّحَمُّلِ؛ فَيَزْدَادُ بَغْيًا وَعُدْوَانًا، وَلِوُدِّنَا إِزْرَاءً وَنُكْرَانًا؛ فَنُحَالِفُ فَيُخَالِف، وَنُفَاصِلُ فَيُفَاصِل، وَنُجَالِبُ فَيُجَانِب، وَنَحْرِصُ عَلَى الوُدَادِ وَيَحْرِصُ عَلَى المُصَارَمَةِ وَالتَّبَات، فَيَشِطُّ وَيَعْتَسِفُ(٣)، دُونَمَا أَسَف، فَلَا نَرَىٰ مِنْهُ إِلاَّ غَيْظًا يَحْتَدِم، وَمَقْذُوفَاتٍ مِنَ التُّهَم!!! فَلَا نُكِلُّهُ -لِإِنْ كِلْنَاهُ- إِلاَّ دُونَ المِثْل، فَلَبِئْسَ المَرْكِبَ الَّذِي رَكِب!

---

(١) في "إِغَاثَة اللَّهْفَان" (٢/ ١٣٧).

(٢) في "وُجُوب التَّعَاوُنِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ" (ص١٣).

(٣) الشَّطَط: تَجَاوُزُ الحَدّ، وَالاعْتِسَافُ: المَيْلُ عَنِ الطَّرِيقِ المَأْلُوفِ.

وَلَسْتُ أَجْزِيكَ الجَزَاءَ الَّذِي عَلَى فَاءِ الصُّنْعِ لاَ بَخْسِهِ
وَلَيْسَ يَبْكِي صَاحِبًا مَنْ إِذَا أُهِينَ؛ لاَ يَبْكِي عَلَى نَفْسِهِ

فَلاَ يَغْتَرُّ إِنْ أَغْضَضْنَا لَهُ عَنْ أَذًى، وَأَطْبَقْنَا أَجْفَانَنَا مِنْهُ عَنْ قَذًى.

❁❁❁❁

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:(١) "إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ".

❁❁❁❁

قَالَ أَبُو الفَتْحِ البُسْتِيُّ:

تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا كَلاَمُكَ حَيٌّ وَالسُّكُوتُ جَمَادُ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلاً سَدِيدًا تَقُولُهُ فَصَمْتُكَ مِنْ غَيْرِ السَّدَادِ سَدَادُ

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي خِتَامِ إِحْدَى مَقَالاَتِهِ:

"إِنَّ الطَّيْشَ فِي الكَلاَمِ يُتَرْجَمُ عَنْ خِفَّةِ الأَحْلاَمِ، وَمَا دَخَلَ الرِّفْقُ شَيْئًا إِلاَّ زَانَه، وَمَا زَانَ المُتَكَلِّمَ إِلاَّ الرَّزَانَة".

❁❁❁❁

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

كُنْ ابْنَ مَنْ شِئْتَ وَاكْتَسِبْ أَدَبًا   يُغْنِيكَ مَأْثُورُهُ عَنِ الحَسَبِ
لاَ شَيْءَ فِي الأَرْضِ أَنْتَ تَكْسَبُهُ   أَحْمَدُ عَنِدَ الأَنَامِ مِنْ أَدَبِ

وَقَالَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ: "مَنْ كَثُرَ أَدَبُهُ دَامَ شَرَفُهُ".

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ:(١) "قِيمَةُ كُلِّ امْرِيءٍ؛ مَا يُحْسِنُهُ".

❁❁❁❁

فَتَحَسَّى الدَّعِيُّ الأَجْوفُ الْمُخْتَالُ زُورًا عِلْمًا غَيْرَ طَائِلٍ، وَرَكَبَ كُلَّ صَعْبٍ وَذَلُولٍ، وَأَخَذَ فِي كُلِّ طَرِيقٍ، وَوَلَجَ كُلَّ مَضِيقٍ، وَخَاضَ لُجَجًا لَيْسَ مَعَهُ فِيهَا مَرْكَبٌ، وَلَمْ يَبْلُغْ شِفَاءَ العَيْنِ وَلاَ طَمْأَنَةَ القَلْبِ.

وَيُجَرِّأُ بِفِعْلِهِ أُنَاسًا أَوْبَاشًا مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ عَلَي آرَاءٍ وَأَقْوَالٍ لَمْ يَكُونُوا لِيَجْرُؤُوا عَلَيْهَا لَوْلاَ هَذَا!

---

(١) "نَهج البلاَغَة" (٤/ ١٨)، مَعَ التَنْبِيهِ عَلَي أَنَّ الكِتَابَ لاَ تَثْبُتُ نِسْبَتُهُ لِلإِمَامِ عَلِيٍّ رضي الله عنه.

وَيُخَالَفُهُ مَنْ يُخَالِفُهُ مِنْ إِخْوَانِهِ فِي اللهِ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، وَلَيْسَ مَنْ يُخَالِفُهُ -بِحَمْدِ اللهِ- مِنْ أَهْلِ الغُمْرِ (أَيْ: الجَهْلِ) فَيُجَهِّلُهُم، وَلاَ مِنَ الغِمْرِ (أَيْ: الحِقْدِ وَالعَدَاوَةِ) فَيُنَاصِبُهُمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ، وَلَكِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الحَقِّ المُنَافِحِينَ عَنِ الحَقِّ، وَالحَقُّ غَيُورٌ.

فَيُحَاوِلُونَ نُصْحَهُ؛ وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْمَعَ لِنُصْحِهِمْ؛ وَكَمَا قَالَ طُرْفَةُ بْنُ العَبْدِ:

وَإِنْ نَاصِحٌ مِنْكَ يَوْمًا دَنَا ... فَلاَ تَنْأَ عَنْهُ وَلاَ تُقْصِهِ

وَإِنْ بَاتَ أَمْرٌ عَلَيْكَ الْتَوَى ... فَشَاوِرْ لَبِيبًا وَلاَ تُعْصِهِ

وَذُو الحَقِّ لاَ تَنْقُصْ حَقَّهُ ... فَإِنَّ القَطِيعَةَ فِي نَقْصِهِ

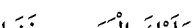

وَلَكِنَّ هَذَا الدَّعِيَّ الأَجْوفَ المُخْتَالَ زُورًا مَتَى بَلَغَهُ نَقْدُ إِخْوَانِهِ؛ يَأَنَفُ وَيَسْتَكْبِرُ، وَيُصِرُّ عَلَى أَنَّهُ سَابِقُ أَقْرَانِهِ وَأَوْحَدُ زَمَانِهِ؛ بَلْ رُمَّانَةُ مِيزَانِهِ!!

وَيَسْتَمْرِئُ صَاحِبُنَا الخَطَأَ؛ بَلْ يُفَلْسِفُ هَذَا الخَطَأَ، بَلْ يُدْمِنُهُ؛ حَتَّى يَصْبِحَ الخَطَأُ عِنْدَهُ صَوَابًا!

وَيُعَدُّ النَّقْدَ نَوْعًا مِنَ البَحْثِ عَنِ العُيُوبِ، وَأَنَّهُ لاَ يَصْدُرُ إِلاَّ مِنْ حَاسِدٍ أَوْ حَاقِدٍ، وَأَنَّهُ صُورَةٌ مِنْ صُوَرِ العَدَاوَةِ وَالبَغْضَاءِ، وَالاسْتِفْزَازِ، وَالتَّشْهِيرِ، وَالمُحَارَبَةِ، وَالتَّأْلِيبِ عَلَيْهِ، وَالسَّعْيِ إِلَى إِسْقَاطِهِ، وَتَشْكِيكًا فِي عِلْمِهِ وَأَبْحَاثِهِ الفَذَّةِ وَفَضْلِهِ الَّذِي لاَ يُنْكِرُهُ إِلاَّ جَاحِدٌ!! وَيُعَدُّ النَّقْدَ تَشْكِيكًا لِلأَتْبَاعِ وَالمُرِيدِينَ فِي جَدَارَتِهِ وَصَلاَحِيَّتِهِ وَهَكَذَا.

وَيُعَدُّ النَّقْدَ نَوْعًا مِنَ التَّنَقُّصِ وَحَطًّا لِلْمَكَانَةِ بَلْ جَرِيمَةً نَكْرَاء. ...

❁❁❁❁

ثُمَّ يَأْتِي شَيْئًا إِمْرًا؛ فَيَتَنَاوَلُ مَنْ خَالَفَهُ بِالْهَمْزِ وَاللَّمْزِ، وَيُلْصِقُ بِهِ تُهْمَةَ الجَهْلِ بِالأَمْرِ، وَيَسْتَلُّ قَلَمَهُ وَيَشْحَذُ لِسَانَهُ وَيَنْطَلِقُ فِي غَضَبٍ غَيْرِ مُنْضَبِطٍ لِلتَّهَجُّمِ وَالتَّهَكُّمِ، وَالتَجْرِيحِ وَالنَّيْلِ مِنْ عُلَمَاءِ وَطُلاَّبِ عِلْمٍ لاَ يَجْمَعُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ يُخَالِفُونَهُ الرَّأْيَ وَلاَ يُوَافِقُونَهُ فِيمَا وَصَلَ إِلَيْهِ، بَلْ أَحْيَانًا لِمُجَرَّدِ أَنَّهُمْ لَمْ يَثْنُوا عَلَيْهِ وَعَلَى جَهْدِهِ الخَارِقِ غَيْرِ المَسْبُوقِ!!

يَنْطَلِقُ بِمَنْهَجٍ فِيهِ طَيْشٌ وَيَقُومُ عَلَى التَّهْوِيلِ وَالتَّهْيِيجِ وَقِلَّةِ الإِنْصَافِ

وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الإِنْصَافِ قَاطِعَةً بَيْنَ الأَنَامِ وَإِنْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ

فَتَعَلَّمَ -أَيُّهَا الأَجْوَفُ!- أَنْ تُنْصِفَ مِنْ نَفْسِكَ، وَتَجْتَهِدَ فِي إِصْلاَحِ خَطَئِكَ، فَهَذِهِ خَصْلَةٌ إِيمَانِيَّةٌ تُزِينَكَ "لأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا اتَّصَفَ بِالإِنْصَافِ لَمْ يَتْرُكْ لِمَوْلاَهُ حَقًّا وَاجِبًا عَلَيْهِ إِلاَّ أَدَّاهُ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا مِمَّا نَهَاهُ عَنْهُ إِلاَّ اجْتَنَبَهُ، وَهَذَا يَجْمَعُ أَرْكَانَ الإِيمَانِ"(١)؛ كَمَا قَالَ عَمَّارٌ رضي الله عنه :(٢) "ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: **الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ**، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ(٣)، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ(٤)."

---

(١) قَالَهُ الحَافِظُ فِي الفَتْحِ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ مُعَلَّقًا (بَاب: إِفْشَاءُ السَّلاَمِ مِنَ الإِسْلاَمِ).

(٣) وَالْمُرَادُ: جَمِيعِ النَّاسِ.

(٤) يَعْنِي: الْقِلَّة، وَقِيلَ: الافْتِقَار.

وَأَعَانَهُ قَوْمٌ آخَرُونَ هَمَلٌ رِعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، بَعْدَ أَنْ مَوَّهَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِمِيَاهِ السَّفْسَطَةِ وَغَشَّاهَا بِدَعَاوَىٰ لاَ يَقْنَعُ بِهَا إِلاَّ العَوَام وَلاَ تَقُومُ عَلَي قَدَمٍ، لِيَغُشَّ بِهَا أَعْيُنَ الكَلِيلِ مِنَ النَّاظِرِينَ؛ يَطْلُبُ بِذَلِكَ أَنْ يَظْهَرَ أَمَامَ النَّاسِ أَنَّهُ وَحْدَهُ أَسَدُ العَرِينِ!!!!

❁❁❁❁

وَزَادَتْهُ الرُّدُودُ عَلَيْهِ بَحْثًا لِجَمْعِ الشُّبَهِ وَالاسْتِكْثَارِ بِهَا لإِظْهَارِ ذَاتِهِ لاَ طَلَبًا لِلْحَقِّ، وَهَذَا مَا رَأَيْنَاهُ مِنْهُ حَتَّىٰ فِي تَرَاجُعَاتِهِ؛ فَأَتَىٰ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ الأَوَائِلُ!!!

❁❁❁❁

فَالأَمْرُ يَحْتَاجُ إِلَى تَقْلِيبِ النَّظَرِ والتَّفْكِيرِ المُتَعَمِّقِ بِهُدُوءٍ وتَرَوٍ، وِفْقَ مَنْهَجٍ عِلْمِيٍّ دَقِيقٍ، بِالْهِدَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي لاَ غِنَىٰ عَنْهَا بِإِضَاءَاتِ الوَحْيِ الرَّبَّانِيِّ قُرْآنًا وَسُنَّةً، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ

ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ (المَائِدَة)، **مَعَ قَوْلِ الحَقِّ فِي صِدْقٍ وَتَجَرُّدٍ** -وَلَوْ كَانَ مُرًّا، وَلَوْ كَانَ ضِدَّ مَنْ نُحِبُّ- **دُونَ تَشْوِيهٍ أَوْ تَجْرِيحٍ**، وَأَيْضًا **دُونَ تَأَثُّرٍ بِالضَّجِيجِ المُزْعِجِ**.

فَلاَ بُدَّ مِنْ **إِزَالَةِ مُلْتَبَسَاتِ الأُمُورِ؛ بِحُجَّةٍ تُثْلِجُ** وَحَرَ الصُّدُور، فَرُبَّ سُمٍّ فِي الشَّهْدِ مُذَابٍ!!

❁❁❁❁

إِنَّهُ الحَدِيثُ العِلْمِيُّ الرَّصِينُ لِلْعِلْمِ وَالْمُنَاقَشَةِ الرَّشِيدَةِ الهَادِئَةِ الْمُنْطَلِقَةِ مِنَ البُحُوثِ السَّابِقَةِ عَلَيْهَا؛ تَخْتَارُ مِنْهَا وَتَبْنِي عَلَيْهَا **بِدُونِ ضَوْضَاءٍ وَلاَ ضَجِيجٍ وَلاَ كَلِمَاتٍ وَنَبَرَاتٍ عَالِيَةٍ مُتَعَالِيَةٍ**، وَلاَ تَبْتَغِي إِلاَّ وَجْهَ الله، **ثُمَّ تَعُودُ** بَعْدَ هَضْمِ ذَلِكَ بِرَصَانَةٍ لِطَرْحِ كُلِّ ذَلِكَ **لِلْبَحْثِ مَرَّةً ثَانِيَةً** لِإِثْرَاءِ البَحْثِ وَتَرْشِيدِهِ وَإِنَارَةِ الطَّرِيقِ لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَنَا.

إِنَّهُ الجَهْدُ المُنَظَّمُ المُتَنَاسِقُ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الجُهُودِ آخِذًا بِأَسَالِيبِ العِلْمِ الدَّقِيقَةِ وَالمَوْضُوعِيَّةِ، لَا تَأْخُذُهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ وَلَا يَرْكَبُهُ الغُرُورُ.

❁❁❁❁❁

فَالأَمْرُ يَحْتَاجُ إِلَى عَالِمٍ بَصِيرٍ يَنْزَعُ عَنْ فِقْهٍ فِي الدِّينِ مُسْتَقِيمٍ وَبَصِيرَةٍ وَقَّادَةٍ وَعِلْمٍ مُؤَصَّلٍ مُؤَسَّسٍ عَلَى قَوَاعِدَ رَاسِخَةٍ وَأَدِلَّةٍ ثَابِتَةٍ.

وَلَيْسَ إِلَى مُدَّعٍ مَغْرُورٍ مَخْدُوعٍ مُعْجَبٍ بِمَدْحِ النَّاسِ أَوْ مُتَّبِعٍ لِهَوًى أَوْ طَالِبٍ لِدُنْيَا.

❁❁❁❁❁

إِنَّنَا **لَسْنَا ضِدّ الاجْتِهَادِ المُقَيَّدِ** بِالقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَلاَ العَرْضِ القَائِمِ عَلَى إِبْدَاءِ الرَّأْيِ وَتَرْجِيحِ احْتِمَالٍ عَلَى احْتِمَالٍ -مَعَ مَا فِيهِ-، بَل يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: "لِلآخِرِ أَنْ يَسْتَدْرِكَ عَلَى الأَوَّلِ"، إِذَا نَبَغَ وَتَأَهَّلَ، وَفَهِمَ كَلاَمَ الأَوَّلِ وَمُرَادَهُ، وَأَسْلَمَ إِلَيْهِ فِي التَّأْصِيلِ قِيَادَهُ، عَلَى أَنْ لاَ يُؤَدِّي اسْتِدْرَاكُهُ إِلَى مُخَالَفَاتِهِمْ، وَلاَ مُخَالَفَةِ إِجْمَاعٍ اسْتَقَرَّ قَبْلَ غَرَائِبِ هَذَا العَصْرِ!!

وَلَكِنَّنَا ضِدّ مُصَادَرَةِ اجْتِهَادِ الآخَرِينَ، وَأَنْ يُضْرَبَ عُرْضَ الحَائِطِ بِجُهُودِ مَنْ سَبَقَنَا وَمَنْ حَوْلَنَا، وغَلْقِ بَابٍ ليس بِأَيْدِينَا إِغْلاَقُهُ، وَتَصْوِيرِ الأَمْرِ أَنَّهُ **وَصَلَ فيه إلى الحَسْمِ بِرَأْيٍ قاطعٍ وقَوْلٍ فَصْلٍ** يَجِبُ أَنْ يُسَلِّمَ بِهِ سَائِرُ البَاحِثِينَ؛ وَكَأَنَّهُ وَصَلَ إِلى نُصُوصٍ قَطْعِيَّةِ الدَّلاَلَةِ تَصِلُ بِالإِنْسَانِ إِلى بَرْدِ اليقين، وَأَنَّ أَفْكَارَهُ كَأَنَّهَا نُصُوصُ وَحْيٍ، وَكَأَنَّ أَصْحَابَهَا "يَحْتَكِرُونَ الحَقِيقَةَ وَحْدَهُمْ، وَيَمْلِكُونَ مَفَاتِيحَ الحِكْمَةِ الَّتِي حُرِمَ مِنْ مِثْلِهَا غَيْرُهُمْ، وَيُصِيبُونَ دَائِمًا وَيُخْطِئُ مَنْ سِوَاهُمْ."(١)

وَيَقُولُ الشَّيْخُ/ **مَحْمُودُ شَلْتُوت** رَحِمَهُ اللَّهُ:(٢) "الإِسْلاَمُ لاَ يَخُصُّ أَحَدًا بِحَقِّ الاسْتِثْنَاءِ بِتَفْسِيرِ النُّصُوصِ، **وَلاَ بِحَقِّ إِلْزَامِ النَاسِ بِرَأْيِهِ**، بَلْ يَمْنَحُ هَذَا الحَقَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ **حَائِزٌ لأَهْلِيَّةِ البَحْثِ**".

---

(١) انْظُرْ: "الفِقْه الإِسْلاَمِيّ في طَرِيقِ التَّجْدِيد" لِلْدُكْتُورِ/ مُحَمَّدِ سِلِيم العَوَّا (ص٢٧)

(٢) في كِتَابِهِ "الإِسْلاَم عَقِيدَةٌ وَشَرِيعَة" طَبْعَة القَاهِرَة سَنَة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

فَلَيْسَ هُنَاكَ مُشْكِلَةٌ وَلاَ ضَرَرَ مِنْ بَذْلِ الجَهْدِ وَالاجْتِهَادِ وَالاسْتِفَادَةِ مِمَّنْ سَبَقَنَا، بَلْ نُطَالِبُ بِمُوَاصَلَةِ وَمُتَابَعَةِ الاجْتِهَادِ وَتَقْلِيبِ النَّظَرِ فِي النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ وَاجْتِهَادَاتِ السَّابِقِينَ. وَ"الْعَالِمُ الْكَبِيرُ قَدْ يَخْفَى عَلَيْهِ بَعْضُ مَا يُدْرِكُهُ مَنْ هُوَ دُونَهُ؛ لأَنَّ الْعِلْمَ مَوَاهِبُ، وَاللهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ." (كَمَا فِي "فَتْحِ البَارِي" ١/ ١٧٧)

أَحَرَامٌ عَلَى بَلاَبِلِهِ الدَّوْحُ حَلاَلٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسِ

❁❁❁❁

وَنَقُولُ أَيْضًا: "إِنَّ لِلعُلَمَاءِ طَرِيقَةً يَخْتَطُّونَهَا، وَمَنْهَجًا يَحْمِلُونَ رِحَالَهُمْ فِيهِ وَيَخُطُّونَهَا، يَتْبَعُ آخِرُهُمُ الأَوَّلَ، وَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الكُلُّ.

وَلِلطَّرِيقِ رَوَاحِلُ لاَ تُقْطَعُ إِلاَّ بِهَا، وَمَرَاحِلُ تُرْتَحَلُ فِي طَلَبِهَا، فَإِنْ أَصَبْتَهَا فَبِهَا، وَإِنْ كُنْتَ رَاحِلاً فَتَرَجَّلْ عَنْ دَرْبِهَا.

فَحَصِّلْ أَوَّلَ مَا تُحَصِّلُ رَاحِلَةَ الطَّرِيقِ، وَاسْعَ فِي تَطَلُّبِهَا سَعْيَ الغَرِيقِ، فَالأَمْرُ لَيْسَ بِالسَّهْلِ الطَّيِّعِ، فَحَصِّلْهَا قَبْلَ أَنْ تستدركَ إِنْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ.

فَإِذَا حَصَّلْتَ الرَّاحِلَةَ؛ فَاعْرَفْ طَرَائِقَهُمْ، وَاسْتَهْدِ بِهِمْ فِي طَرِيقِكَ، وَخُذْ مِنْهُمْ أُصُولَ الفَنِّ المُطَّرِدَة، وَقَواعِدَهُ المُتَّفِقَ عَلَيْهَا.

وَسَتَجِدُ بَعْدَ مُدَّةٍ؛ أَنَّهُ صَارَ لَكَ نَفَسٌ فِي هَذَا العِلْمِ، وَفِقْهُ نَفْسٍ يُعِينُكَ عَلَى الفَهْمِ، وَمَلَكَةٌ حَدِيثِيّة، تَعْرِفُ بِهَا مَقُولاَتِهِمْ، وَلِمَ قَالُوهَا، وَسُنَنَهُمْ، وَكَيْفَ اسْتَنُّوهَا". (١)

❁❁❁❁

وَعَلَيْنَا أَنْ نَنْفُضَ غُبَارَ اللَّبْسِ وَالتَّلْبِيسِ؛ فَإِنَّهَا مَزَلاَّتُ أَقْدَامٍ وَمَطَاعِنُ آثَامٍ. وَلَا نَفْتَحُ بَابًا يَعْسُرُ عَلَيْنَا سَدُّهُ، وَنَرْمِي سَهْمًا يُعْجِزُنَا رَدُّهُ، وَنُفْسِدُ أَمْرًا يُعْيِينَا إِصْلاَحُهُ!! وَكَمَا قَالَ **الشَّاعِرُ**:

فَإِيَّاكَ وَالأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ مَوَارِدُهُ؛ ضَاقَتْ عَلَيْكَ المَصَادِرُ

فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذُرَ المَرْءُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسُ عَاذِرُ

❁❁❁❁

وَكُلُّ فِئَةٍ تَتَحَيَّزُ إِلَى الهَوَى تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَوْ تَسْتَحْسِنُ رَأْيًا تَعْكُفُ عَلَيْهِ سِوَى مَن عُدَّتُهُمْ ومَحَبَّتُهُمْ القُرْآنُ وَالسُّنَّةُ؛ فَلاَ يُعَرِّجُونَ عَلَى

---

(١) انْظُرْ: المَقَامَة الحَدِيثِيَّة" لأَبِي عُمَرَ البَكْرِيِّ.

الأَهْوَاءِ وَلاَ يَلْتَفِتُونَ إِلَى الآرَاءِ.(١) فَمَا دَخَلَ الهَوَىٰ شَيْئًا إِلَّا أَفْسَدَهُ.

وَكُلُّنَا نَزْعُمُ أَنَّنا نُرِيدُ الحَقَّ وَالوُصُولَ إِلَيْهِ وَالعَمَلَ بِهِ، وَأَنَّنَا نُرِيدُ العَوْدَةَ وَالتَّحَاكُمَ إِلَى الكِتَابِ والسُّنَّة، وَلَكِن عِنْدَ تَفْسِيرِ وَشَرْحِ هَذَيْنِ المَصْدَرَيْنِ الأَصْلِيَّيْنِ المُسَلَّمَيْن مِن الجَمِيعِ يَنْحُو كُلٌّ إِلَى مَنْحًى مُخْتَلِفٍ عَنْ صَاحِبِهِ وَيَأْخُذُ هَذَا المَنْحَى أَشْكَالاً وَسِمَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، بَلْ تَأْخُذُ صِفَةَ التَّعَارِضِ، وَالعَجِيبُ أَنَّ كُلاًّ يَدَّعِي أَنَّهُ عَلَى الحَقِّ وَأَنَّ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ وَيُؤْمِنُ بِهِ هُوَ الحَقُّ، وَرُبَّمَا وَصَفَ مَن يُخَالِفُهُ وَلَمْ يَلْتَزِمْ بِمَا وَصَلَ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ.(٢)

❁❁❁❁❁

وَقَدْ يَدْخُلُ الهَوَىٰ -وهُوَ الدَّاءُ المُبِيرُ وَالشَّرُّ المُسْتَطِيرُ وَالفَسَادُ الأَكْبَرُ- إِلَى النُّفُوسِ وَيَسْرِي فِي خَفَاءٍ، وَقَدْ يَتَسَرْبَلُ بِرِدَاءِ بَرَاءَةِ القَصْدِ وَخُلُوصِ النِّيَّةِ.

---

(١) انْظُرْ: "مَعْرِفَة عُلُومِ الحَدِيث" لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ (ص٣).

(٢) انْظُرْ: "مَوْقِف ابْنِ تَيْمِيَةَ مِن الأَشَاعِرَة" لِلدُّكْتُورِ/ عَبْدِ الرَّحمنِ بْنِ صَالِح المَحْمُود (ص٥).

وَقَدْ يَتَحَلَّى بِجَوَاهِرِ الدِّقَّةِ وَالاسْتِيعَابِ وَالتَّمْحِيصِ وَالمَهَارَةِ وَالحِذَقِ وَالذَّكَاءِ؛ مُوهِمًا التَّطْبِيقَ العِلْمِيَّ الخَالِصَ أَوِ البَحْثَ المَنْهَجِيَّ حَتَّى "تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمٌ".

بَلْ رُبَّمَا تَجِدهُ يَحْقِرُ عَقْلَ مَنْ لاَ يُدْرِكُ قَوْلَهُ، فَمَا بَالُكَ بِمَنْ يَرْتَضِي هَذَا القَوْلَ؟ فَدَعْ عَنْكَ مَن يُنَافِحُ وَيُدَافِعُ عَنْ غَيْرِهِ؟ فَهُوَ عِنْدَهُ أَبْيَنُ بَيَانًا مِنَ البَدَاهَاتِ المُسَلَّمَةِ، وَأَظْهَرُ ظُهُورًا مِنَ الشَّمْسِ السَّاطِعَةِ. وَيَتَحَوَّلُ الأَمْرُ إِلَى فَوْضَى مُبَعْثَرَةٍ لاَ يَتَبَيَّنُ فِيهَا حَقٌّ مِنْ بَاطِلٍ، وَلاَ صِدْقٌ مِنْ كَذِبٍ، وَلاَ صَحِيحٌ مِن سَقِيمٍ، وَلاَ صَوَابٌ مِنْ خَطَأٍ.

وَهَذَا أَمْرٌ شَدِيدُ أَنْ يَتَجَرَّدَ "مِنْ بَطْشَةِ الأَهْوَاءِ الَّتِي تَسْتَكِينُ ضَارِعَةً فِي أَغْوَارِ النَّفْسِ وفي كُهُوفِهَا؛ حَتَّى تَمْرُقَ مِن مَكْمَنِهَا لِتَسْتَبِدَّ بِالقَهْرِ وَتَتَسَلَّطَ".

وَهَذَا هُوَ مَوْضِعُ المَخَافَةِ الَّذِي يَسْتَوْجِبُ الحَذَر.(١)

(١) انْظُرْ: "رِسَالَة فِي الطَّرِيقِ إِلى ثِقَافَتِنَا" لِلأُسْتَاذِ/ مَحْمُود مُحَمَّد شَاكِر، ط.مَكْتَبَة الخَانْجِي.

وَقَدْ تُزَيِّنُ لِلإِنْسَانِ نَفْسُهُ حُسْنَ الظَّنِّ بِهَا؛ فَيُتَابِعُهَا فِي هَوَاهَا، فَيَغْلِبُ الهَوَىٰ عَقْلَهُ؛ فَيُصْبِحُ أَسِيرًا لَهَا مُرْتَهَنًا بِهَوَاهَا، فَيَلْعَبُ بِهِ الهَوَىٰ يُمْنَةً وَيُسْرَىٰ، فَرُبَّمَا يُشْرِفُ بِصَلَفِهِ عَلَى تَلَفِهِ وَهُوَ لاَ يَدْرِي، فَيُلْقِيهِ فِي أَوْدِيَةِ هَلاَكٍ ذَاتِ شُعَبٍ.

وَآهٍ؛ لَوِ اجْتَمَعَ مَعَ الهَوَىٰ إِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ فَهَذَا مِنْ أَقْوَىٰ أَسْبَابِ الهَلاَكِ:

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: "الهَلاَكُ فِي اثْنَتَيْنِ: القُنُوط وَالعُجْب".

وَقِيلَ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها: مَتَىٰ يَكُونُ الرَّجُلُ مُسِيئًا؟ قَالَتْ: "إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ مُحْسِنٌ".

وَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم:(١) **"ثَلاَثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ مِنَ الخُيَلاَءِ. وَثَلاَثٌ مُنْجِيَاتٌ:**

---

(١) انْظُرْ "مَجْمَع الزَّوَائِد" لِلْحَافِظِ الهَيْثَمِيِّ بَاب "فِي المُنْجِيَات وَالمُهْلِكَات" حَيْثُ أَوْرَدَ أَرْبَعَ رِوَايَاتٍ، وَانْظُرْ الرِّوَايَاتِ الأُخْرَى فِي الصَّحِيحَةِ لِلأَلْبَانِيِّ (ح١٨٠٢)؛ حَيْثُ حَكَمَ بِحُسْنِهِ.

العَدْلُ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ، وَالقَصْدُ فِي الغِنَى وَالفَاقَةِ، وَمَخَافَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ".

فَهُوَ مَقْتٌ وَهَلاَكٌ فَوْقَ هَلاَكٍ.

وَرُبَّمَا أَوْرَثَ ذَلِكَ كِبْرًا وَغُرُورًا خَاصَّةً إِذَا اجْتَمَعَ مَعَ ذَلِكَ نِفَاقُ المَادِحِينَ، وَتَمَلُّقُ المُنَافِقِينَ.

وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ الفُضَلاَءُ أُولُوا الأَلْبَابِ؛ فَحَثُّوا عَلَى التَّيَقُّظِ لِهَذَا، وَنَبَّهُوا عَلَى الاحْتِرَازِ مِنْهُ وَالتَّجَنُّبِ عَنْهُ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم:(١) **"إِذَا رَأَيْتُمْ المَدَّاحِينَ؛ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمْ التُّرَابَ."**

❁❁❁❁

فَيَا صَاحِبَ النَّفْسِ الشَّرِيفَةِ، وَالهِمَّةِ العَالِيَةِ، والفِطْنَةِ وَالنُّبْلِ وَالعَقْلِ! إِيَّاكَ وَيَنْبُوعَ الرَّذَائِلِ، وَأُمَّ النَّقَائِصِ، وَمِفْتَاحَ بَابِ العَطَبِ، وَالمورِثَ لِلزَّلَلِ.

❁❁❁❁

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (ح٥٣٢٣).

وَعَلَى البَاحِثِ أَنْ يَكُونَ مَوْضُوعِيًّا بِكُلِّ مَعْنَى الموضوعيةِ مِن إِقْصَاءِ العَوَامِلِ الذَّاتِيَّةِ وَالنَّزَعَاتِ الشَّخْصِيَّةِ وَالتَّوَجُّهَاتِ الإِيدْيُولُوجِيَّةِ وَالنَّظْرَةِ الأُحَادِيَّةِ، وَبِكُلِّ حِيَادٍ وَتَجَرُّدٍ وَأَمَانَةٍ ونَزَاهَةٍ وَعَدَمِ تَحَيُّزٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَشَنُّجٍ وَلاَ تَعَصُّبٍ مَقِيتٍ أَعْمَى يَجْنِي صَاحِبُهُ وَبَالَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَتَتَنَامَى بِسَبَبِهِ أَحْقَادٌ، فَيَلْحَقُ شَرَرُهُ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَنَالَ مِنَ الآخَرِينَ.

وَرَحِمَ اللهُ الإِمَامَ **وَكِيعَ بْنَ الجَرَّاحِ** -القَائِلَ-: "أَهْلُ الحَقِّ: يَقُولُونَ الَّذِي لَـهُمْ، وَالَّذِي عَلَيْهِمْ، وَأَهْلُ الأَهْوَاءِ: يَقُولُونَ الَّذِي لَـهُمْ، وَيَكْتُمُونَ الَّذِي عَلَيْهِمْ."

❁❁❁❁

فَالبَاحِثُ عَنِ الحَقِّ يُمْكِنُ أَنْ يَجْمَعَ بين التزامِهِ لِمَذْهَبٍ مُعَيَّنٍ أو فِكْرٍ أو رَأْيٍ أَوْ إِيدْيُولُوجِيَّةٍ مَعَ الإِلْتِزَامِ العِلْمِيِّ المَوْضُوعِيِّ، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ مَذْهَبُهُ يقومُ عَلَى الإِلْزَامِ وَالالْتِزَامِ الدِّينِيِّ وَالخُلُقِيِّ الَّذِي يَأمُرُهُ بِالعَدْلِ وَالإِنْصَافِ فِي كُلِّ حَيَاتِهِ، وَخَاصَّةً فِي العِلْمِ وَالمعرفةِ والبحثِ والنظر.

وَقَدْ حَذَّرَ عُلَمَاؤُنَا الأَقْدَمُونَ مُنْذُ أَكْثَرَ مِن أَلْفِ عَامٍ، مِن عَدَمِ العَدْلِ وَالإِنْصَافِ بِسَبَبِ التَّعَصُّبِ المَقِيتِ؛ فَتَرَدَّدَ في كُتُبِهِمْ ونَبَّهُوا عَلَيْهِ في كَثِيرٍ مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِم، وَخَصُّوا مِنَ القَوَاعِدِ بِكُتُبٍ وَرَسَائِلَ خَاصَّة؛ مِن ذَلِكَ مَا قَالَهُ **الحَسَنُ بْنُ الهَيْثَمِ** فِيمَا وَضَعَهُ مِن قَوَاعِدِ المَنْهَجِ في كِتَابِهِ (المناظر):

"... وَنَجْعَلُ غَرَضَنَا في جَمِيعِ مَا نَسْتَقْرِئُهُ وَنَتَصَفَّحُهُ اسْتِعْمَالَ العَدْلِ، لاَ اتِّبَاعَ الهَوَىٰ، وَنَتَحَرَّىٰ في سَائِرِ مَا نُمَيِّزُهُ وَنَنْتَقِدُهُ، طَلَبَ الحَقِّ، لاَ المَيْلَ مع الآرَاءِ، فَلَعَلَّنَا نَنْتَهِي بِهَذَا الطَّرِيقِ إِلىٰ الحَقِّ الَّذِي بِهِ يُثْلِجُ الصَّدْر، ونَصِلُ بِالتَّدْرِيجِ وَالتَّلَطُّفِ إِلىٰ الغَايَةِ الَّتِي عِنْدَهَا يَقَعُ اليَقِينُ، ونَظْفَرُ مَع النَّقْدِ وَالتَّحَفُّظِ بِالحَقِيقَةِ، الَّتِي يَزُولُ مَعَهَا الخِلاَفُ، وَيَنْحَسِمُ بِهَا مَوَادُّ الشُّبُهَاتِ."

فَاسْتِعْمَالُ العَدْلِ، وَالبُعْدُ عَنِ الهَوَىٰ، وَطَلَبُ الحَقِّ، وَعَدَمُ المَيْلِ مَعَ الآرَاءِ شَرْطٌ لِلْوُصُولِ إِلىٰ اليَقِينِ وَالحَقِيقَةِ!!

وَ"**النَّقْدُ البَنَّاءُ**، نَقْدٌ يُصَحِّحُ الاجْتِهَادَ الخَاطِيءَ وَبَيَانٌ لِلْحَقِّ، وَهُوَ مِنْ بَابِ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ وَبَيَانِ الخَطَأِ حَتَّىٰ لاَ يَقَعَ فِيهِ مَنْ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِهَذَا المُخْطِيءِ".

❁❁❁❁

نَعَم! مِن الصَّعْبِ أَنْ يَكُونَ البَاحِثُ مَوْضُوعِيًّا وَمُحَايِدًا تَمَامًا بِأَنْ يَتَبَنَّىٰ مَوْقِفًا وَسَطًا بَيْنَ طَرَفَيْنِ مُتَنَافِرَيْنِ، فَهَذَا مَوْقِفٌ حَافِلٌ بِالمَخَاطِرِ، كَمَا يَقُولُ فِرِد هَالِيدَاي(١) مُسْتَنِدًا إِلَىٰ مَثَلٍ أَمْرِيكِيٍّ طَرِيفٍ؛ مَبْنَاهُ أَنَّكَ إِذَا سِرْتَ فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ فَأَنْتَ مُعَرَّضٌ لأَنْ يَكتسِحَكَ مَن عَلَي يَمِينِكَ ومَن عَلَي يَسَارِكَ عَلَي السَّوَاءِ، وَهَذَا يُبَيِّنُ مَدَىٰ دِقَّةِ البَاحِثِ الَّذِي يَسْعَىٰ إِلَىٰ تَنَاوُلِ أَيِّ مَوْضُوعٍ يَمسُّهُ تَنَاوُلاً مَوْضُوعِيًّا.(٢)

---

(١) الأَيْرْلَنْدِيُّ الأَصْلُ وَأُسْتَاذُ العَلاَقَاتِ الدُّوَلِيَّةِ فِي مَدْرَسَةِ لَنْدَن لِلاقْتِصَادِ.

(٢) انْظُرْ: "الحَرْب الكَوْنِيَّة الثَّالِثَة ـ عَاصِفَة سِبْتَمْبِر وَالسَّلاَم العَالَمِيّ" لِلدُّكْتُورِ/ السَّيِّد يَاسِين (ص١٥٦) ط. مَكْتَبَة الأُسْرَة.

إِنَّ هَوَىٰ البَاحِثِ وَنَزَعَاتِهِ وَأَيْدِيُولُوجِيَّتَهُ غَالِبًا مَا تُؤَثِّرُ عَلَيْهِ خُصُوصًا فِي بَحْثِ المَوْضُوعَاتِ الحَسَّاسَةِ وَالشَّائِكَةِ.

فَلَيْسَ مِن السّهُولَةِ أَنْ يَنْسَلِخَ الإِنْسَانُ مِن ذَاتِهِ!(١)

❁❁❁❁

وَإِذَا كَانَ **جُونَار مِيرْدَال**(٢) قَدْ قَالَ فِي تَعْرِيفِ **"المَوْضُوعِيَّة"**:

"هِيَ أَنْ تُعْلِنَ ذَاتِيَّتَكَ منذ البداية."

أَيْ أَنَّ عَلَى البَاحِثِ أَنْ يُعْلِنَ مُنْذُ بِدَايَةِ بَحْثِهِ هُوِيَّتَهُ ومنظورَهُ حَتَّىٰ يَكُونَ القَارِيءُ عَلَى بَصِيرَةٍ مُنْذُ البِدَايَةِ.(٣)

وَمِن السّهولَةِ عَلَى القَارِيءِ المُدرَّبِ صَاحِبِ النَّظْرَةِ الفَاحِصَةِ أَنْ يَكْتَشِفَ المَرْجَعِيَّاتِ الفِكْرِيَّةَ لِصَاحِبِ البَحْثِ مِنْ خِلاَلِ:

---

(١) انْظُرْ: المَصْدَر السَّابِق (ص١٣٠)

(٢) وَهُوَ بَاحِثٌ اقْتِصَادِيٌّ سُويدِيّ، وَيُعَدُّ مِن أَشْهَرِ عُلَمَاءِ الاجْتِمَاعِ في العَالَمِ.

(٣) انْظُرْ: المَصْدَر السَّابِق (ص١٣١)

١. مَفَاهِيمِهِ وَمُصْطَلَحَاتِهِ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا فِي بَحْثِهِ.(١)

٢. انْتِقَائِهِ لِلْوَقَائِعِ وَانْحِيَازَاتِهِ الفِكْرِيَّةِ وَتَوَجُّهَاتِهِ الإِيدْيُولُوجِيَّة.(٢)

❁❁❁❁

يَقُولُ الشَّيْخُ/ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُمِيد:(٣)

"**الأَصْلُ الخَامِسُ**: التَّجَرُّدُ، وَقَصْدُ الحَقِّ، وَالبُعْدُ عَنِ التَّعَصُّبِ، وَالالْتِزَامُ بِآدَابِ الحِوَارِ:

إِنَّ اتِّبَاعَ الحَقِّ، وَالسَّعْيَ لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَالحِرْصَ عَلَى الالْتِزَامِ؛ وَهُوَ الَّذِي يَقُودُ الحِوَارَ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ لاَ عِوَجَ فِيهِ وَلاَ الْتِوَاءَ، أَوْ هَوَىٰ الجُمْهُورِ، أَوِ الأَتْبَاعِ .. وَالعَاقِلُ -فَضْلاً عَنِ الْمُسْلِمِ الصَّادِقِ- طَالِبٌ حَقّ، بَاحِثٌ عَنِ الحَقِيقَةِ، يَنْشُدُ الصَّوَابَ وَيَتَجَنَّبُ الخَطَأَ.

---

(١) انْظُرْ: المَصْدَر السَّابِق (ص١٣٢)

(٢) انْظُرْ: المَصْدَر السَّابِق (ص٢٦٦)

(٣) فِي كِتَابِهِ: "أُصُولُ الحِوَارِ وَآدَابُهُ فِي الإِسْلاَمِ".

يَقُولُ **الغَزَالِيُّ أَبُو حَامِدٍ**: "التَّعَاوُنُ عَلَى طَلَبِ الحَقِّ مِنَ الدِّينِ، وَلَكِنَّ لَهُ شُرُوطٌ وَعَلاَمَات؛ مِنْهَا أَنْ يَكُونَ فِي طَلَبِ الحَقِّ كَنَاشِدٍ ضَالَّةٍ، لاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ أَنْ تَظْهَرَ الضَّالَّةُ عَلَى يَدِهِ أَوْ عَلَى يَدِ مُعَاوِنِهِ. وَيَرَىٰ رَفِيقَهُ مُعِينًا لاَ خَصْمًا. وَيَشْكُرُهُ إِذَا عَرَّفَهُ الخَطَأَ وَأَظْهَرَهُ لَهُ" .. "الإِحْيَاء" (ج١).

وَمِنْ مَقُولاَتِ الإِمَامِ **الشَّافِعِيِّ** المَحْفُوظَةِ: "مَا كَلَّمْتُ أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ أَحْبَبْتُ أَنْ يُوَفَّقَ وَيُسَدَّدَ وَيُعَانَ، وَتَكُونَ عَلَيْهِ رِعَايَةُ الله وَحِفْظُه. وَمَا نَاظَرَنِي فَبَالَيْتُ! أَظَهَرَتِ الحُجَّةُ عَلَى لِسَانِهِ أَوْ لِسَانِي".

وَفِي ذَمِّ التَّعَصُّبِ وَلَوْ كَانَ لِلْحَقِّ، يَقُولُ **الغَزَالِيُّ**: "**إِنَّ التَّعَصُّبَ مِنْ آفَاتِ عُلَمَاءِ السُّوءِ**، فَإِنَّهُمْ يُبَالِغُونَ فِي التَّعَصُّبِ لِلْحَقِّ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْمُخَالِفِينَ بِعَيْنِ الازْدِرَاءِ وَالاسْتِحْقَارِ، فَتَنْبَعِثُ مِنْهُمُ الدَّعْوَىٰ بِالْمُكَافَأَةِ وَالْمُقَابَلَةِ وَالْمُعَامَلَةِ، وَتَتَوَفَّرُ بَوَاعِثُهُمْ عَلَى طَلَبِ نُصْرَةِ البَاطِلِ، وَيَقْوَىٰ غَرَضُهُمْ فِي التَّمَسُّكِ

بِمَا نُسِبُوا إِلَيْهِ. وَلَوْ جَاؤُوا مِنْ جَانِبِ اللُّطْفِ وَالرَّحْمَةِ وَالنُّصْحِ فِي الْخُلْوَةِ، لاَ فِي مَعْرِضِ التَّعَصُّبِ وَالتَّحْقِيرِ لأَنْجَحُوا فِيهِ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ الجَاهُ لاَ يَقُومُ إِلاَّ بِالاسْتِتْبَاعِ، وَلاَ يَسْتَمِيلُ الأَتْبَاعَ مِثْلُ التَّعَصُّبِ وَاللَّعْنِ وَالتُّهَمِ لِلْخُصُومِ، اتَّخَذُوا التَّعَصُّبَ عَادَتَهُمْ وَآلَتَهُمْ." "الإِحْيَاء" (ج ١)

وَالمَقْصُودُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الحِوَارُ بَرِيئًا مِنَ التَّعَصُّبِ خَالِصًا لِطَلَبِ الحَقِّ، خَالِياً مِنَ العُنْفِ وَالانْفِعَالِ، بَعِيدًا عَنِ المُشَاحَنَاتِ الأَنَانِيَّةِ وَالمُغَالَطَاتِ البَيَانِيَّةِ، مِمَّا يُفْسِدُ القُلُوبَ، وَيُهَيِّجُ النُّفُوسَ، وَيُولِدُ النَّفْرَةَ، وَيُوغِرُ الصُّدُورَ، وَيَنْتَهِي إِلَى القَطِيعَةِ.

وَقَالَ أَيْضًا: "يَقُولُ **ابْنُ عَقِيلٍ**: "وَلْيَقْبَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ الحُجَّةَ؛ فَإِنَّهُ أَنْبَلُ لِقَدْرِهِ، وَأَعْوَنُ عَلَى إِدْرَاكِ الحَقِّ وَسُلُوكِ سَبِيلِ الصِّدْقِ".

قَالَ **الشَّافِعِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا فَقَبِلَ مِنِّي الحُجَّةَ إِلاَّ عَظُمَ فِي عَيْنِي، وَلاَ رَدَّهَا إِلاَّ سَقَطَ فِي عَيْنِي"(١)أ.هـ.

---

(١) "عِلْم الجَدَل" (ص ١٤)

فَلَا بُدَّ مِن جَمْعِ **المَادَةِ العِلْمِيَّةِ** لِلْبَحْثِ مِنْ مَظَانِّهَا مِنَ المَصَادِرِ العِلْمِيَّةِ المَوْثُوقِ بِهَا فِي هَذَا العِلْمِ أَوَّلاً عَلَى وَجْهِ الاسْتِيعَابِ بِقَدْرِ الاسْتِطَاعَةِ، ثُمَّ **تَصْنِيفِهَا**، ثُمَّ **تَمْحِيصِهَا** تَمْحِيصًا دَقِيقًا مُفْرَدَةً مُفْرَدَةً؛ بِتَحْلِيلِ أَجْزَائِهَا بِدِقَّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ وَبِمَهَارَةٍ وَحِذْقٍ وَحَذَرٍ، **وَإِظْهَارِ الصَّحِيحِ المُسْتَبِينِ** الظَّاهِرِ مِن الزَّيْفِ وَالبَهْرَجِ والمَنْقُود؛ بِلاَ غفلةٍ وبِلاَ هَوَىٰ وبِلاَ تَسَرُّع.

ثُمَّ **تَرْتِيب الصَّحِيحِ الجَيِّدِ** بَعْدَ نَفْيِ زَيْفِهِ وَوَضْعِهِ حَقَّ مَوْضِعِهِ دُونَ إِخْلاَلٍ أَوْ تَسَرُّعٍ؛ فَلاَ بُدَّ مِن حُسْنِ الضَّبْطِ المُتَحَرِّي أَيِّ دِقَّتِهِ، وَالحَذَر.(١)

مَعَ الحِرْصِ عَلَى أَنْ تَكُونَ الصِّيَاغَةُ بِأُسْلُوبٍ عِلْمِيٍّ بَعِيدٍ عَنِ الحَشْوِ وَالغُمُوضِ.

وَلْيَكُنِ الرَّدُّ بِـ(مَوْضُوعِيَّةٍ) مَا اسْتَطَعْنَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا؛ بِأَنْ:

---

(١) انْظُرْ: "رِسَالَة فِي الطَّرِيقِ إِلَى ثَقَافَتِنَا" لِلأُسْتَاذ/ مَحْمُود مُحَمَّد شَاكِر، ط.مَكْتَبَة الخَانْجِي.

۞ نَعْرِضَ آرَاءَ الْمُخَالِفِ بأمانةٍ ونَزَاهَةٍ كَمَا أَوْرَدَهَا مُشِيرِينَ -مَا اسْتَطَعْنَا- إِلَى مَوَاضِعِهَا.

۞ تُبَيِّنَ مَوَاضِعَ الخَلَلِ والانْتِقَاءِ.

۞ نُورِدَ الأَدِلَّةَ عَلَى ذَلِكَ.

۞۞۞۞

وَلْيَكُنِ الهَدَفُ هُوَ طَلَبُ الحَقِّ وَإِيضَاحُهُ، والحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ، وعَدَمُ قَصْدِ الإِسَاءَةِ لأَحَدٍ أَوْ تَتَبُّعَ زَلاَّتِهِ وَعَثَرَاتِهِ -غَفَرَ اللهُ لَنَا وَلَهُ-، وَلْيَكُنِ القَصْدُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ البِنَاءُ وَالتَّسْدِيدُ؛ لاَ لِلْهَدْمِ وَالتَّشْهِيرِ.

وَلاَ نَسْمَحُ لِلْيَرَاعِ أَنْ يَنَالَ مِنْ شَخْصِ الْمُخَالِفِ؛ حَتَّىٰ لَوْ سَمَحَ لِنَفْسِهِ أَنْ يَنَالَ مِنْ شُخُوصِ مُعَارِضِيهِ، وَبَدَأَهُمْ بِالقَوْلِ القَارِصِ وَالتَّجْرِيحِ.

وَعَلَيْهِ أَنْ يَفْهَمَ أَنَّ الَّذِي يَنْتَقِدُهُ مِنْ إِخْوَانِهِ هُوَ مَنْ يُحِبُّهُ؛ لِأَنَّ" صَدِيقَكَ مَنْ صَدَقَكَ لاَ مَنْ صَدَّقَكَ".

فَنَحْنُ إِخْوَانُهُ، وَهُوَ بَعْضٌ مِنَّا وَيُؤْذِينَا مَا يُؤْذِيهِ، وَنَقْدُنَا لَهُ عَلَى مَضَضٍ مِنَّا بَعْدَ أَنْ أَشْعَلَ النِّيرَانَ:

بَعْضِي عَلَى بَعْضِي يُجَرِّدُ سَيْفَهُ وَالسَّهْمُ مِنِي نَحْوَ صَدْرِي يُرْسَلُ
وَالنَّارُ تُوقَدُ فِي خِيَامِ عَشِيرَتِي وَأَنَا الَّذِي يَا وَيْلَتَاهُ الْمُشْعِلُ

فَالنَّقْدُ لاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ نَقْدًا هَادِفًا لَيْسَ وَرَاءَهُ تَوَجُّهَاتٌ وَلاَ ضَغَائِنُ، وَلاَ يُقْصَدُ مِنْ وَرَاءِهِ تَتَبُّعُ الأَخْطَاءِ وَالزَّلاَّتِ، وَالعِبْرَةُ بِالنَّقْدِ بِالدَّلاَئِلِ وَالبَرَاهِينِ لاَ بِتَسْوِيدِ الأَوْرَاقِ.

وَالدَّعَاوَى إِذَا لَمْ يُقِيمُوا عَلَيْهَا بَيِّنَاتٍ؛ أَصْحَابُهَا أَدْعِيَاءُ

وَيَقُولُ آخَر:

وَإِذَا الدَّعَاوَى لَمْ تَقُمْ بِدَلِيلِهَا بِالنَّصِّ؛ فَهِيَّ عَلَى السَّفَاهِ دَلِيلُ

وَعَلَى البَاحِثِ أَنْ يُظْهِرَ لِلْقَارِئِ فِي بَحْثِهِ نَزَاهَةَ القَصْدِ وَعِفَّةَ القَلَمِ وَأَمَانَةَ الاسْتِدْلاَلِ.

وَنَقُولُ لَهُ مَا قَالَهُ **بَدِيعُ الزَّمَانِ الهَمَذَانِيُّ**:

اسْمَعْ نَصِيحَةَ نَاصِحٍ جَمَعَ النَّصِيحَةَ وَالمِقَــةْ(١)

وَلْيَكُنِ البَاحِثُ؛ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: "وَحَصَّنْتُ صَدْرًا جَيْبُهُ لَكَ نَاصِحُ"(٢)

وَحَسْبُ البَاحِثِ أَنْ يَجْتَهِدَ وَيَبْذُلَ الجَهْدَ -قَدْرَ الإِمْكَانِ وَالاسْتِطَاعَةِ- مَعَ اعْتِرَافِهِ بِقُصُورِهِ. وَحَسْبُهُ أَنَّهُ لَبِنَةٌ فِي تَشْيِيدِ صَرْحٍ، وَأَنْ يَسْأَلَ اللهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ، وَأَنْ يَكُونَ قَدْ وُفِّقَ فِيمَا رَجَاهُ وَحَرِصَ عَلَى حُصُولِهِ، وَأَنْ يَسْأَلَ اللهَ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلاَ أَنْ يَهْدِيَهُ وَيُلْهِمَهُ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ وَسَوَاءَ السَّبِيلِ، وَأَنْ يَحْدُوَهُ الأَمَلُ أَنْ يَكُونَ وَافِيًا بِالغَرَضِ مُحَقِّقًا لِمَا يَرْجُوهُ، وَأَنْ يَكُونَ إِضَافَةً فِي هَذَا المَجَالِ. وَأَنْ تَكُونَ هِمَّتُهُ تَتَمَثَّلُ فِي تَمْهِيدِ السَّبِيلِ وَتَحْدِيدِ مَعَالِمِ الطَّرِيقِ وَوَضْعِ القَارِئِ عَلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ بَعْدَ

---

(١) أَيْ: المَحَبَّة.

(٢) الجَيْبُ يُرَادُ بِهِ القَلْبُ وَالصَّدْرُ، وَالمَعْنَى أَنِّي لَكَ نَاصِحٌ أَمِينٌ.

تَزْوِيدِهِ بِالزَّادِ العِلْمِيِّ الضَّرُورِيِّ. وَمِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ العَوْنَ وَالتَّوْفِيقَ وَالهُدَىٰ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ!

وَالبَعْضُ مِنَّا قَدْ يَرَىٰ أَنَّنَا بَدَلاً مِنَ الرَّدِّ عَلَىٰ أَخْطَاءِ إِخْوَانِنَا يَجِبُ أَنْ نَتَفَرَّغَ لأَعْدَاءِ اللهِ وَرَدِّ شُبُهَاتِهِمْ وضَلاَلاَتِهِم، وَهَذَا فِي ظَنِّنَا مِنَ الوَرَعِ البَارِدِ المُزَيَّنِ لِكَثِيرٍ مِن السُّذَّجِ عَلَى حِسَابِ الدِّينِ وَالعَقِيدَةِ. مَعَ إِيمَانِنَا بِضَرُورَةِ الرَّدِّ عَلَىٰ الشُّبُهَاتِ وَالضَّلاَلاَتِ.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ هَذِهِ النَّصِيحَة؛ لأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَدْ أَوْصَانَا بِالحِرْصِ عَلَى النَّصِيحَةِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ؛ الَّتِي هِيَ أُسُّ الدِّينِ وَنُصْرَةٌ لِلْحَقِّ المُبِينِ ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ (الحج/٤٠)؛ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: "بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، **وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**".

وَرَوَىٰ مُسْلِمٌ عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**". قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: "**للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ.**"

وَقَوْلُهُ: (**الدِّينُ: النَّصِيحَةُ**) "دلاَلَةٌ عَلَى أَنَّ النَّصِيحَةَ مُرْتَكَزُ الدِّينِ الأَصِيلُ، وَأَسَاسُهُ الرَّاسِخُ، إِذْ بِدُونِهَا لاَ يَصِحُّ إِيمَانُ الْمَرْءِ، وَلاَ يَحْسُنُ إِسْلاَمُهُ، وَهَذَا مِصْدَاقُ قَوْلِ الرَّسُولِ الكَرِيمِ ﷺ: "**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.**" (مُتَّفِقٌ عَلَيْهِ)، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُحِبَّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ إِلاَّ إِذَا كَانَ لَهُ مُحِبًّا نَصُوحًا"أ.هـ.

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ:(١) "**الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ أَخِيهِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ؛ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ.**"

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي "الأَدَبِ الْمُفْرَدِ" ح٢٣٩، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩٢٩) وَأَبُو دَاوُدَ (٤٨٨٢)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي "السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة" ح٩٢٦، وَالحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي "بُلُوغ المَرَام".

وَيَقْتَبِسُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه هَذَا الْهَدْيَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَيَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه :(١) "الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ أَخِيهِ إِذَا رَأَى فِيهَا عَيْبًا أَصْلَحَهُ".

إِنَّ كُلَّ إِنَاءٍ بِمَا فِيهِ يَنْضَحُ، وَالزَّهْرَ لاَ يَنْفَحُ إِلاَّ الشَّذَا، وَالأَرْضَ الطَّيِّبَةَ لاَ تُخْرِجُ إِلاَّ النَّبَاتَ الطَّيِّبَ، وَلله دَرُّ الشَّاعِرِ (هُوَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى) إِذْ يَقُولُ:

وَهَلْ يُنْبِتُ الخَطِّيَّ إِلاَّ وَشِيجُهُ وَتُغْرَسُ إِلاَّ فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ(٢)

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَنْصُرَ أَخَاهُ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ؛ يَنْصُرُهُ إِنْ كَانَ عَلَى الحَقِّ؛ فَيَقِفُ بِجَانِبِهِ، يُؤَازِرُهُ وَيَزُودُ عَنْهُ وَيَنْصُرُهُ، وَإِنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ الحَقِّ؛ فَيَنْهَاهُ، وَيَنْصَحُهُ، وَيَزْجُرُهُ عَلَى الارْتِكَاسِ فِي حَمْأَةِ البَاطِلِ، وَالتَّرَدِّي فِي مُسْتَنْقَعَاتِ الظُّلْمِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي "الأَدَبِ المُفْرَدِ".

(٢) انْظُرْ: "شَخْصِيَّة المُسْلِمِ كَمَا يَصُوغُهَا الإِسْلاَمُ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ" د. مُحَمَّد عَلِيّ الهَاشِمِيّ (ص١٤٦،١٤٧) طَبْعِة: وِكَالَة المَطْبُوعَاتِ وَالبَحْثِ العِلْمِيّ -السعودية. ١٤٢٥هـ.

وَهَذَا مَا دَعَا إِلَيْهِ الرَّسُولُ الكَرِيمُ فِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ:(١)

اقْتَتَلَ غُلاَمَانِ؛ غُلاَمٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَغُلاَمٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَنَادَىٰ الْمُهَاجِرُ أَوِ الْمُهَاجِرُونَ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! وَنَادَىٰ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ! فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَ: **"مَا هَذَا؟ دَعْوَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ؟"** قَالُوا: لاَ، يَا رَسُولَ اللهِ! إِلاَّ أَنَّ غُلاَمَيْنِ اقْتَتَلاَ، فَكَسَعَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ. قَالَ: **"فَلاَ بَأْسَ، وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا؛ إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ، وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ.(٢)"**

---

(١) حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ، وَعِنْدَ البُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ أَيْضًا. وَانْظُرْ: **"المَصْدَر السَّابِق"** (ص١٤٩-١٥٠)

(٢) النَّصْرُ عِنْدَ الْعَرَبِ الإِعَانَةُ، وَتَفْسِيرُهُ لِنَصْرِ الظَّالِمِ بِمَنْعِهِ مِنَ الظُّلْمِ مِنْ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِمَا يَئُولُ إِلَيْهِ، وَهُوَ مِنْ وَجِيزِ الْبَلاَغَةِ. وَانْظُرْ **"فَتْح البَارِي"** لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ فِي **"بَاب أَعِنْ أَخَاكَ"** مِنْ كِتَابِ المَظَالِمِ.

وَنَحْنُ لاَ نَدَّعِي أَنَّنَا وَفَّيْنَا المَوْضُوعَ حَقَّهُ، كَمَا لاَ نَدَّعِي الإِصَابَةَ وَالتَّسْدِيدَ فِي كُلِّ مَا قُلْنَاهُ؛ فَالخَطَأُ وَالزَّلَلُ مِن طَبِيعَةِ البَشَرِ، فَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ حَقٍّ وَصَوَابٍ فَمِنَ اللهِ، وَمَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فَمِنْ أَنْفُسِنَا وَمِنَ الشَّيْطَانِ وَاللهُ بَرِيءٌ مِنْهُ، وَنَسْتَغْفِرُ اللهَ مِن كُلِّ خَطَأٍ وَزَلَلٍ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ.